المسرح والشباب

مرشد راقي عزيز
مخرج وباحث مسرحي

لاشك أن الشباب العربي بما يمتلك من فكر ووعي وقوة وطاقة وإبداع يمثل حجر الزاوية لنهضة أمتنا العربية سواء كانت النهضة اقتصادية أو دينية أو ثقافية، ولاشك أيضا أننا لا نستطيع أن نغيّر العالم بأكمله، ولكن مجموعة صغيرة قد تستطيع أن تذهب لأقصي حد في التحول علي كل مستويات العلاقات داخليا مع جمهورها أثناء عرض مسرحي، والشاهد ان هناك تجارب ظهرت من الشباب يصنعون مسرحا لا يمثل جزء من هيئة رسمية تعليمية الدوافع تتعاون فيها الممارسات والنتائج، والتي لا تعتبر شديدة البرمجة والتطورات المسرحية الجديدة والتي بدأها وقادها هؤلاء الفنانون الشباب عند ولوجهم إلي المجال الاحترافي والتي تتحدى موهبتهم وفطرتهم واندفاعهم الطرق التي يصنع من خلالها مسرح يتحدد فيه الغرض والوظيفة.

لقد أظهرت الأبحاث العلمية على المخ الإنساني وتطوره بأن العقل الانساني يحتوي بداخله على ديناميكية التغير التى تؤدي ربما الى نتائج قد تكون سلبية ومدمرة وليست قدرية، وهذا مؤشر يقودنا الى إعاده النظر بأهمية التخصص وزرع الثقافة الفنية، وهي بلاشك مهمة بالنسبة للمعنيين بتطوير الإستراتيجيات في الفنون أو غيرها بغرض التعامل مع تحدي التغير الذي يواجه العالم، ومعرفة علم المسرح سوف يسهل لنا حدوث مزيد من التطورات الحديثة أي أن هناك أساس علمي لمعرفتنا بقواعد التغيير ودون الخوض في التفاصيل العديدة.

يوضح الكاتب المسرحي الايرلندي اوسكار وايلد ما هو العمل الفني الصحي والغير الصحي ؟ وهو يرى أن العمل الفني الصحي هو الذي يتكيف اختيار مادته بمزاج الفنان وينبثق منه مباشرة والعمل الفني غير الصحي هو العمل الذي يبدو أسلوبه قديما متداولا، ومادته مختارة بطريقة متعمدة لاعتقاده انه سيجلب له شهرة ومالا، وهذا الطرح لمن يتأمله قد يبدو غير مفهوم، ولكي يبدو الأمر واضح ومفهوم علينا نطرح على أنفسنا هذا السؤال التقليدي: لماذا يذهب شبابنا

إلى المسرح أو لماذا نذهب إلى المسرح؟

ولو وجّهنا هذا السؤال إلى جماعة من مرتادي المسرح لوجدنا إجابات مختلفة، فأحدهم يذهب إلى المسرح لكي ينسي همومه وأفكاره وربما يقول ايضا: لكي أنسى نفسي ومشاكلي أو أريد أن أريح رأسي من عناء التفكير، وآخر يقول: أريد أن أفكر وأريد أن أتأمل فيما يدور حولي في هذه الحياة وآخر: أتوجّه إلي المسرح لعلي أجد فيه ما يشحذ أفكاري وخيالي، وهناك من يرى انه يحب المسرحية التي تتغلغل في كيانيه، وتسري عن نفسه وتهز وجدانه، وآخر يذهب للمسرح لكي يضحك، أو يمضي وقتا مليئا بالمرح والتخفيف من أعباء الحياة، وهناك فئة تقول: أجد نفسي مع زمرة الناس أشاركهم الظلام الفني من كل جانب، وأشد انتباههم صوب شئ واحد، أو فعل ما.. أو أتخيّل نفسي على خشبة المسرح في شخصية البطل، وهنالك من يبحث عن الشهر والمال والجوائز .

وإزاء عالمنا المتغير يفترض أن نعيد النظر في طريقة طرح السؤال لتلك الفئة التقليدية من جيل الشباب، ولكن يجب علينا طرحه بمفاهيم أكثر شمولية، وأوسع رحابة، وعلى هذا يجب أن يكون السؤال الآن كيف يذهب المسرح إلينا؟ وليس العكس، وهذا لن يتأتّى إلا بتجذر المسرح في الهوية العربية، ومن خلال هذا التجذر تصبح الأرض ممهدة بصنع نهضة ثقافية ومعرفية في آن واحد، وهو بطبيعة الحال يحتاج من القائمين على أمر المنظومة الثقافة إلى وضع إستراتيجية مسرحية تنهض بالأمة وتجعل الإنسان متعدد الثقافات، وهذا الأمر أزعم أنه من السهولة بمكان أن يتحقق في عدة خطوات، منها، على سبيل المثال لا الحصر، وضع مادة فن المسرح كمادة إلزامية في جميع المراحل التعليمية وتخصيص حصة لعرض نتاج مادة المسرح لكل فصل دراسي، وإيجاد مسابقات شهرية لجميع الفنون المرتبطة بفن المسرح، وذلك لخلق نوع من الثقافة بين الشباب العرب، والإهتمام بإقامة مهرجانات شبابية ذات أهداف ومحاور والاهم مشاركة الجانب الإعلامي لبروز تلك التجارب من الظلام الى النور.

هذه الخطوات من الممكن أن يتكئ عليها القائمون علي أمر الثقافة العربية في تنمية عقول الشباب من اجل بناء وخلق بيئة ثقافية ومسرحية مواتية، فالهدف في الأساس هو جذب الشباب إلى المسرح الهادف والخلاق، وجعله كالماء والهواء داخل نفوس وعقول الشباب العربي، وقديما قالوا إذا أردت أن تعرف مقدار حضارة أمة فانظر إلى مسرحها، والشعوب العربية ذات حضارة لذلك تحاك دائما حولها المؤامرات، وتبث الأفكار الدخيلة والسموم، ومن أجل التصدي لتلك الموجة يجب الإهتمام بالثقافة التي كانت بوجه عام أحد الأركان الأساسية في عملية التنمية وخططها، جنبا إلى جنب مع عملية التنمية الاقتصادية، باعتبارها المكون الفعلي لبناء الكيان المعرفي، ولا شك أن المسرح من أهم العوامل الثقافية في رفع كفاءة فكر الانسان وحفز طاقاته كما أن المسرح عنصر أساسي في حياة الشعوب العربية لاسيما الشباب الذي هم قاطرة التنمية في عالم متغير يموج بالتحولات السياسية الحادة.